

سورة النازعات مكية

وآياتها ست وأربعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّيِّقَاتِ
سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾
قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾

أقسم ربنا جل جلاله بالنازعات ، واختلف أهل التأويل فيها ، وما هي ، وما تنزع ؟ فقال بعضهم: هم
الملائكة التي تنزع نفوس بني آدم ، والمنزوع نفوس الأدميين .

وقال آخرون : بل هو الموت يُنزع النفوس .

وقال آخرون : هي النجوم تنزع من أفقٍ إلى أفقٍ .

وقال آخرون : هي القسي تنزع بالسهم .

وقال آخرون : هي النفوس حين تنزع .

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقًا ، ولم يخص
نازعة دون نازعة ، فكل نازعة غرقًا ، فداخلة في قسمه ، ملكًا كان أو موتًا ، أو نجمًا ، أو قوسًا ، أو غير ذلك .
والمعنى : والنازعات إغراقًا ، كما يغرق النازع في القوس .

وقوله : « والناشطات نشطًا » اختلف أهل التأويل أيضاً فيهن ، وما هن ، وما الذي ينشط ؟ فقال

بعضهم : هم الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها ، كما ينشط العقل من البعير إذا حُلَّ عنه .

وقال آخرون : « والناشطات نشطًا » هو الموت يُنشط نفس الإنسان .

وقال آخرون : هي النجوم تنشط من أفقٍ إلى أفقٍ .

وقال آخرون: هي الأوهاق¹.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالناشطات نشطاً، وهي التي تنشط من موضع إلى موضع، فتذهب إليه، ولم يخص الله بذلك شيئاً دون شيء، بل عم القسم بجميع الناشطات، والملائكة تنشط من موضع إلى موضع، وكذلك الموت، وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضاً تنشط، كما قال الطرمح:

وهل بجليف الخيل ممن عهده * به غير أحدان النواشط روع

يعني بالنواشط: بقر الوحش، لأنها تنشط من بلدة إلى بلدة، كما قال رؤبة بن العجاج:

تَنَشَّطَتْهُ كُلُّ مِغْلَاةِ الْوَهَقِ

والهموم تنشط صاحبها، كما قال هميان بن قحافة:

أَمَسَتْ هُمُومِي تَنَشِيطُ الْمَنَاشِيطِ * الشَّامِ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسْطًا

فكل ناشط فداخل فيما أقسم به، إلا أن تقوم حجة يجب التسليم بها بأن المعنى بالقسم من ذلك بعض دون بعض.

وقوله: « والسابحات سباحاً » يقول تعالى ذكره: واللواتي تسبح سباحاً.

واختلف أهل التأويل في التي أقسم بها جل ثناؤه من السابحات، فقال بعضهم: هي الموت تسبح في نفس ابن آدم.

وقال آخرون: هي النجوم تسبح في فلكها.

وقال آخرون: هي السفن.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إن الله جل ثناؤه أقسم بالسابحات سباحاً من خلقه، ولم

يخصص من ذلك بعضاً دون بعض، فـ [شميل] ذلك كل سباح، لما وصفتنا قبل في [تأويل] « النازعات ».

وقوله: « فالسابقات سباقاً » اختلف أهل التأويل فيها، فقال بعضهم: هي الملائكة.

وقال آخرون: هي الخيل السابقة.

وقال آخرون: بل هي النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير.

والقول عندنا في هذه، مثل القول في سائر الأحرف الماضية.

وقوله: « فللدبرات أمراً » يقول: للملائكة المدبرة ما أمرت به من أمر الله، وكذلك قال أهل التأويل.

¹ الأوهاق: جمع وهق، بسكون الهاء وتحريكها، وهي الخيل المغار يرمى فيه أنشودة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان.

وقوله: «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ» : يقولُ تعالى ذِكْرُهُ: «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ» لِلنَّفْحَةِ الْأُولَى «تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ» تتبعتها أخرى بعدها، وهي النفخة الثانية التي رَدِفَتِ الْأُولَى، لِبَعَثِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
وقوله: «تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ» يقولُ: النفخة الثانيةُ .

وقال آخرونَ في ذلك ما حدَّثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ» قال: تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وهي الزلزلةُ . وقوله «الرَّادِفَةُ» قال: هو قوله: «إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ - فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً» .

وقال آخرون: تَرْجُفُ الْأَرْضُ، والرَّادِفَةُ: السَّاعَةُ .

واختلف أهلُ العربيةِ في موضعِ جوابِ قوله: «وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا» فقالَ بعضُ نحويِّ البصرة: قوله «وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا»: قَسَمٌ - والله أعلم - على «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى»، وإن شئتَ جَعَلْتَهَا على «يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ - قلوبُ يومئذٍ واجفةٌ» وهو كما قال اللهُ وشَاءَ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ هَذَا، وفي كلِّ الْأُمُورِ .
وقال بعضُ نحويِّ الكوفةِ: جوابُ القَسَمِ في النَّازِعَاتِ: ما تُرِكَ، لمعرفةِ السامعينَ بالمعنى، كأنه لو ظَهَرَ كَانَ لَتَبْعَثَنَّ وَلتَحَاسِبَنَّ . قال: ويدلُّ على ذلك «أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً» ألا ترى أَنَّهُ كالجوابِ لقوله لتبعثنَّ إِذَا قَالَ «أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً» . وقال آخَرُ منهم نحوَ هذا، غيرَ أَنَّهُ قَالَ: لا يجوزُ حَذْفُ اللامِ في جوابِ اليمينِ، لأنها إِذَا حُذِفَتْ لم يُعْرَفْ موضعُها، وذلك أَنَّها تلي كلَّ كلامٍ .

والصوابُ من القولِ في ذلك عندنا: أَنَّ جوابَ القَسَمِ في هذا الموضعِ، مما استغْنِي عنه بدلالةِ الكلامِ، فَتَرِكَ ذِكْرَهُ .

وقوله: «قلوبُ يومئذٍ واجفةٌ» يقولُ تعالى ذِكْرُهُ: قلوبُ خَلِقٍ من خَلْقِهِ يومئذٍ خائفةٌ من عظيمِ الهولِ النازلِ .

وقوله: «أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ» يقولُ: أَبْصَارُ أَصْحَابِهَا ذَلِيلَةٌ مما قد علاها مِنَ الْكَأَبَةِ وَالْحَزَنِ مِنَ الْخَوْفِ والرعبِ الذي قد نزلَ بهم، مِنْ عَظِيمِ هَوْلِ ذَلِكَ الْيَوْمِ .

القولُ في تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى:

يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرَدُّوْنَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَيْذَا كُنَّا عِظَامًا نَخْرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

يقولُ تعالى ذكرهُ : يقولُ هؤلاءِ المكذِبونَ بالبعثِ مِن مُشركي قريشٍ إذا قيلَ لهم : إنَّكم مبعوثونَ مِن بعدِ الموتِ : لردودونُ إلى حَالِنَا الأولى قَبْلَ المماتِ ، فراجعونَ أحياءً كما كُنَّا قَبْلَ هَلَاكِنَا ، وقيلَ مماتِنَا ؟ وهو مِن قولِهِم : رَجَعَ فلانٌ على حافِرَتِهِ : إذا رَجَعَ مِن حيثُ جاءَ ؛ ومنه قولُ الشاعرِ :

أحافِرَةٌ على صَلَعٍ وشيبٍ * معاذَ اللهِ مِن سَفَهٍ وطَيْشِ

وقالَ آخرونَ : الحافِرَةُ : الأرضُ المحفورةُ التي حُفِرَتْ فيها قبورُهُم ، فجعلوا ذلكَ نظيرَ قولِهِ « مِن ماءٍ دافِقٍ » يعني مدفونٌ ، وقالوا : الحافِرَةُ بمعنى المحفورةِ ، ومعنى الكلامِ عندهم : أئنَّا لردودونُ في قبورِنَا أمواتاً ؟ وقالَ آخرونَ : الحافِرَةُ : النارُ .

وقولُهُ : « أئنَّا كُنَّا عظاماً نَخِرَّةً » : بالية .

[وقولُهُ] : « تلكَ إذا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ » يقولُ جُلُّ ثنائِهِ عن قِيلِ هؤلاءِ المكذِبينَ بالبعثِ ، قالوا : تلكَ ، يعنونُ تلكَ الرجعةَ ، أحياءَ بعد المماتِ ، إذا : يَعنونُ الآنَ كَرَّةً ، يعنونُ رجعةً خاسرةً ، يعنونُ غابنةً .
وقولُهُ : « فإِنما هي زجرةٌ واحدةٌ » يقولُ تعالى ذكره : فإِنما هي صبيحةٌ واحدةٌ ، ونفخةٌ تُنفَخُ في الصورِ ، وذلكَ هو الزجرةُ .

وقولُهُ : « فإذا هُمُ بالسَّاهِرَةِ » يقولُ تعالى ذكره : فإذا هؤلاءِ المكذِبونَ بالبعثِ ، المتعجبونَ مِن إحياءِ اللهِ إياهُم بعدَ مماتِهِم ، تكذيباً منهم بذلكَ ، بالسَّاهِرَةِ ، يعني بظهِرِ الأرضِ . والعربُ تسمي الفلاةَ ووجهَ الأرضِ : ساهِرَةً . وأراهم سُموا ذلكَ بها ، لأنَّ فيه نومُ الحيوانِ وسهرِها ، فوصِفَ بصفةٍ ما فيه . ومنه قولُ أخِي نَهْمَ يومَ ذي قارٍ لفرسيه :

أقدِمُ « محاجٌ » إنَّها الأساورَةُ * ولا يَهولَنَّكَ رِجْلُ نادِرَةٍ

فإِنما قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَةِ * ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَها في الحافِرَةِ

مِنَ بعدِ ما كُنْتَ عِظاماً نَخِرَةً

وقالَ آخرونَ : السَّاهِرَةُ : اسمُ مكانٍ مِنَ الأرضِ بعينه معروفٌ .

وقالَ آخرونَ : هو جبلٌ بعينه معروفٌ .

وقالَ آخرونَ : هي جهنمُ .

القولُ في تأويلِ قولِهِ تعالى :

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ
إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذِكْرَهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ أَتَاكَ يَا مُحَمَّدٌ حَدِيثُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ ، وَهَلْ سَمِعْتَ خَبْرَهُ حِينَ نَجَّاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ ، يَعْنِي بِالْمُقَدَّسِ : الْمَطَهَّرِ الْمُبَارَكِ . وَقَوْلُهُ « طُوًى » هُوَ عِنْدِي اسْمُ الْوَادِي ٢ .
وَقَوْلُهُ : « أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى » يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : نَادَى مُوسَى رَبَّهُ : أَنْ أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ ، فَحَدِّثْتُمْ (أَنْ) إِذْ كَانَ النَّدَاءُ قَوْلًا ، فَكَأَنَّمَا قِيلَ لِمُوسَى قَالَ رَبُّهُ : أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ . وَقَوْلُهُ « إِنَّهُ طَغَى » يَقُولُ : عَتَا وَتَجَاوَزَ حُدُودَهُ فِي الْعُدْوَانِ ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى رَبِّهِ .

وَقَوْلُهُ : « فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَزَكَّى » يَقُولُ : فَقُلْ لَهُ : هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ تَتَطَهَّرَ مِنْ دَنَسِ الْكُفْرِ ، وَتُؤْمِنَ

بِرَبِّكَ ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ
أَدْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذِكْرَهُ لِنَبِيِّهِ مُوسَى : قُلْ لِفِرْعَوْنَ : هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَنْ أُرْشِدَكَ إِلَى مَا يُرْضِي رَبَّكَ عَنْكَ ، وَذَلِكَ الدِّينُ الْقِيَمُ . « فَتَخْشَى » يَقُولُ : فَتَخْشَى عِقَابَهُ بِأَدَاءِ مَا أَلْزَمَكَ مِنْ فَرَائِضِهِ ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَاكَ عَنْهُ مِنْ مَعْاصِيهِ .

قَوْلُهُ : « فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى » يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ : فَأَرَى مُوسَى فِرْعَوْنَ الْآيَةَ الْكُبْرَى ، يَعْنِي الدَّلَالََةَ الْكُبْرَى عَلَى أَنَّهُ اللَّهُ رَسُولُ اللَّهِ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْآيَةَ يَدُ مُوسَى إِذْ أَخْرَجَهَا بِيضَاءً لِلنَّاطِرِينَ ، وَعَصَاهُ إِذْ تَحَوَّلَتْ تُعْبَانًا مَبِينًا .

وَقَوْلُهُ : « فَكَذَّبَ وَعَصَى » يَقُولُ : فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ مُوسَى فِيمَا أَتَاهُ مِنَ الْآيَاتِ الْمَعْجِزَةِ ، وَعَصَاهُ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ رَبَّهُ ، وَخَشِيَّتِهِ إِلَيْهِ .

٢ هذا ما اختاره الطبري لمعنى « طوى » وذلك عند تفسيره الآية « إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى » (طه : ١٢) ، فنقلناه من هناك لأنه - رحمه الله - أشار للفرائض الرجوع إليها ومراجعة اختلاف المفسرين فيها هناك .

وقوله: « ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى » يقول: ثُمَّ وَلَّى مُعْرِضاً عَمَّا دَعَاهُ إِلَيْهِ مُوسَى مِنْ طَاعَتِهِ رَبِّهِ ، وَخَشِيَّتِهِ وَتَوْحِيدِهِ . « يَسْعَى » : يقول: يعملُ في معصيةِ الله ، وفيما يُسخطُه عليه .

وقوله: « فَحَشَرَ فَنَادَى » يقول: فجمعَ قومه وأتباعه ، فنَادَى فِيهِمْ « فَقَالَ » لهم « أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » الذي كُلُّ رَبٍّ دُونِي . وَكَذَبَ الْأَحْمَقُ .

القولُ في تأويلِ قوله تعالى :

فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾ وَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا ﴿٢٨﴾

يعني تعالى ذكَّره بقوله: « فَأَخَذَهُ اللَّهُ » فعاقبه اللهُ « نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى » يقول: عُقُوبَةَ الْآخِرَةِ مِنْ كَلِمَتِيهِ ، وَهِيَ قَوْلُهُ « أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » ، وَالْأُولَى قَوْلُهُ: « مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي »^٣ . وَقَالَ آخَرُونَ: عَذَابُ الدُّنْيَا ، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ ، عَجَّلَ اللَّهُ لَهُ الْغُرُقَ ، مَعَ مَا أَعَدَّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ .

وقال آخرون: بلْ عُنِيَ بِذَلِكَ: فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وقال آخرون: الأولى عصبانته ربّه وكفره به ، والآخرة قوله « أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى » .

وقال آخرون: بلْ عُنِيَ بِذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَهُ بِأَوَّلِ عَمَلِهِ وَآخِرِهِ .

وقوله: « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى » يقول تعالى ذكره: إِنَّ فِي الْعُقُوبَةِ الَّتِي عَاقَبَ اللَّهُ بِهَا فِرْعَوْنَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا ، وَفِي أَخْذِهِ إِيَّاهُ ، نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى : عِظَةً وَمَعْتَبَرًا لِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ ، وَيَخْشَى عِقَابَهُ . وَأَخْرَجَ « نَكَالَ الْآخِرَةِ » مُصَدَّرًا مِنْ قَوْلِهِ « فَأَخَذَهُ اللَّهُ » لِأَنَّ قَوْلَهُ « فَأَخَذَهُ اللَّهُ » نَكَالَ الْآخِرَةِ مُصَدَّرًا مِنْ مَعْنَاهُ ، لَا مِنْ لَفْظِهِ .

وقوله: « أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءِ بَنَاهَا » يقولُ تعالى ذِكْرَهُ لِلْمَكْدِيِّينَ بِالْبَعْثِ مِنْ قَرِيشٍ ، الْقَائِلِينَ « أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ، قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ » : أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَشَدُّ خَلْقًا ، أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَبُّكُمْ ؟ فَإِنَّ مَنْ بَنَى السَّمَاءَ فَرَفَعَهَا سَقْفًا ، هَيِّنٌ عَلَيْهِ خَلْقُكُمْ وَخَلْقُ أَمْثَالِكُمْ ، وَإِحْيَاؤُكُمْ بَعْدَ مَمَاتِكُمْ .

وقوله: « رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّلَهَا » يقولُ تعالى ذِكْرَهُ : فَسَوَّى السَّمَاءَ ، فَلَا شَيْءَ أَرْفَعُ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَا شَيْءَ أَخْفَضُ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ جَمِيعُهَا مَسْتَوِي الْارْتِفَاعِ وَالِامْتِدَادِ .

^٣ سورة القصص ، الآية : ٢٨

القولُ في تأويلِ قوله تعالى :

وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٦٦﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٦٧﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآوَاهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٦٨﴾

وقوله : « وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا » يقول تعالى ذكره : وأظلمَ ليلَ السماءِ ، فأضافَ الليلَ إلى السماءِ ، لأنَّ الليلَ غروبُ الشمسِ ، وغروبُها وطلوعُها فيها ، فأضيفَ إليها لَمَّا كَانَ فِيهَا ، كما قيلَ نجومُ الليلِ ، إذ كَانَ فِيهِ الطلوعُ والغروبُ .

وقوله : « وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا » يقول : وأخرجَ ضيَاءَهَا ، يعني : أبرَزَ نهارَهَا فأظهرَه ، ونورَ ضُحَاهَا .

وقوله : « وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا » : اختلفَ أهلُ التأويلِ في معنى قوله «بَعْدَ ذَلِكَ» فقال بعضهم : دَحَيْتُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ خَلْقِ السَّمَاءِ .

وقال آخرونَ : بلُ معنى ذلك : والأرضُ معَ ذلكَ دَحَاهَا ، وقالوا : الأرضُ خُلِقَتْ ودَحِيَتْ قَبْلَ السَّمَاءِ ، وذلكَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ : « هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ » قالوا : فأخبرَ اللهُ أَنَّهُ سَوَّى السَّمَوَاتِ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، قالوا : فإذا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فلا وَجَهَ لقوله : « وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا » إلا ما ذكرنا ، مِن أَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، قالوا : وذلكَ كقولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ : « عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ » بمعنى : معَ ذلكَ زَنِيمٌ .

والقولُ الذي ذكرناه عن ابنِ عباسٍ مِن أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَرْضَ ، وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ، وَلَمْ يَدْحُهَا ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ، ثُمَّ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ، وَأَرَسَى جِبَالَهَا ، أَشْبَهُ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ التَّنْزِيلِ ، لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ : « وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا » ، والمعروفُ مِن معنى «بَعْدَ» أَنَّهُ خِلَافُ معنى «قَبْلَ» ، وَلَيْسَ فِي دَحْوِ اللَّهِ الْأَرْضَ بَعْدَ تَسْوِيَةِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ، وَإِعْطَاشِهِ لَيْلَهَا ، وَإِخْرَاجِهِ ضُحَاهَا ، مَا يُوجِبُ أَنْ تَكُونَ الْأَرْضُ خُلِقَتْ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ لِأَنَّ الدَّحْوَ إِنَّمَا هُوَ البَسْطُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَالْمَدُّ ، يُقَالُ مِنْهُ : دَحَا يَدْحُو دَحْوًا ، ودَحِيَتْ أُدْحِي دَحِيًّا لَعْنَانِ . و[منه] قولُ أوس بنِ حجرٍ في نعتِ الغَيْثِ :

يَنْفِي الْحِصَى عَنِ جَدِيدِ الْأَرْضِ مُبْتَرِكٌ * كَأَنَّهُ فَلَاحِصٌ أَوْ لَاعِبٌ دَاحِي

وقوله : « أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا » يقولُ : فَجَرَّ فِيهَا الْأَنْهَارَ . « وَمَرْعَاهَا » يقولُ : أَنْبَتَ نَبَاتَهَا .

القولُ في تأويلِ قوله تعالى :

وَالْجِبَالِ أَرْسَلَهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ

﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمِ لِمَنْ يَرَىٰ ﴿٣٦﴾

يعني تعالى ذكَّره بقوله : « متاعاً لكم ولأنعامكم » أنه خلق هذه الأشياء ، وأخرج من الأرض ماءها ومرعاها ، منفعةً لنا ، ومتاعاً إلى حين .

وقوله : « فإذا جاءت الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ » يقول تعالى ذكره : فإذا جاءت التي تطمُّ على كلِّ هائلةٍ من الأمور ، فتغمُرُ ما سواها بعظيم هولها . وقيل إنها اسمٌ من أسماء يوم القيامة .

وقوله : « يوم يتذكر الإنسان ما سعى » يقول : إذا جاءت الطَّامَّةُ يوم يتذكر الإنسان ما عمل في الدنيا من خيرٍ وشرٍّ ، وذلك سعْيُه « وُبرزت الجحيم » يقول : وأظهرت الجحيم ، وهي نارُ الله لِمَنْ يراها ، يقول : لأبصار الناظرين .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَمَّا مَنْ طَعَىٰ ﴿٣٧﴾ وَوَاتَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا

مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : فأما من عتا على ربه ، وعصاه واستكبر عن عبادته .

قوله : « وآثر الحياة الدنيا » يقول : وآثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة ، وما أعد الله فيها لأوليائه ، فعمل للدنيا ، وسعى لها ، وترك العمل للآخرة « فإن الجحيم هي المأوى » يقول : فإن نار الله التي اسمها الجحيم ، هي منزله ومأواه ، ومصيره الذي يصير إليه يوم القيامة .

وقوله : « وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى » يقول : وأما من خاف مسئلة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه ، فأتقاه ، بإداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، ونهى النفس عن الهوى ، يقول : ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله ، ولا يرضاه منها ، فزجرها عن ذلك ، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه « فإن الجنة هي المأوى » يقول : فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَلَهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

يقولُ تعالى ذِكْرَهُ لِنبيهِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم : يسألكَ يا محمدُ هؤلاءِ المكذِبونَ بالبعثِ عن السَّاعةِ التي تُبْعَثُ فيها الموتى مِن قبورهم أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، متى قيامها وظهورها . وكان الفراءُ يقولُ : إنَّ قالَ قائلٌ : إنما الإرساءُ للسفينةِ ، والجلالُ راسيةٌ وما أشبههن ، فكيفَ وصفَ السَّاعةَ بالإرساءِ ؟ قلتُ : هي بمنزلةِ السفينةِ إذا كانت جاريةً فَرَسَتْ ، ورُسُوها : قيامها ؛ قالَ : وليسَ قيامها كقيامِ القائمِ ، إنما هي كقولِكَ : قد قامَ العدلُ ، وقامَ الحقُّ : أيَ ظهرَ وثبتَ .

قالَ أبو جعفرٍ رحمه الله : يقولُ اللهُ لِنبيهِ صلى الله عليه وسلم : « فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا » يقولُ : في أيِّ شيءٍ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ السَّاعةِ والبحثِ عن شأنِها .

وقوله : « إلى رَبِّكَ مُنْتَهَلَهَا » يقولُ : إلى رَبِّكَ مُنْتَهَى عِلْمِهَا ، أيَ إليه ينتهي علمُ السَّاعةِ ، لا يعلمُ وقتَ قيامها غيرُه .

وقوله : « إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا » يقولُ تعالى ذكره مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم : إنما أَنْتَ رسولٌ مبعوثٌ بإنذارِ السَّاعةِ مَن يَخَافُ عِقَابَ اللهِ فيها على إجرامِهِ ، ولم تُكَلَّفْ علمَ وقتِ قيامها ، يقولُ : فدَع ما لم تُكَلَّفْ عِلْمَهُ ، واعملْ بما أُمرتَ به ، مِن إنذارِ مَن أُمرتَ بإنذارِهِ .

وقوله : « كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » يقولُ جَلٌّ ثناؤه : كأنَّ هؤلاءِ المكذِبينَ بالسَّاعةِ ، يَوْمَ يَرَوْنَ أَنَّ السَّاعةَ قد قامتْ ، مِن عَظِيمِ هَوْلِهَا ، لم يَلْبَثُوا في الدنيا إلا عَشِيَّةً يَوْمٍ ، أو ضُحَا تلكِ العَشِيَّةِ ، والعربُ تقولُ : آتِيكَ العَشِيَّةُ أو غَدَاتِهَا ، وآتِيكَ الغدَاةُ أو عَشِيَّتِهَا ، فيجعلونَ معنى الغدَاةِ بمعنى أوَّلِ النهارِ ، والعشيَّةُ : آخرُ النهارِ ، فكذلكَ قوله : « إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا » إنما معناه إلا آخرَ اليومِ أو أوَّلَهُ .

آخر تفسير سورة النازعات